مَن يَقدر أن يكون خادمَ العهد الجديد؟
(٢كور ٢: ١٧؛ ٣: ١٨)

أ. أنطوان عوكر

حمَل بولس دائماً هم التبشير بالمسيح
(القديس بولس الرسول. رسم للفنان ل. غريكو ١٥٤١-١٦١٤، متحف الفن الكاتالوني، برشلونا-اسبانيا)

مقدّمة

يُمكننا أن نستنتج، إذا قرأنا رسالة القدّيس بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، وجود خلاف بَين الرسول وبين الجماعة المسيحيّة في كورنثوس. فسياق الرسالة يكشف عن بَعض مضمون الجدال بينهما. لا شكّ في أنّ النصّ الذي يستوقفنا (٢كور ٢:١٧؛ ٣:١٨) يدخل في إطار إجابة بولس على أساس خدمته إذ يسعى أن يُبرهن عن صحّة عمله وعن تفوّق المجد الذي يحتويه العهد الجديد والذي يخدمه الرسول على ذاك المجد الذي كانَ في العهد مع موسى.

نظرة سريعة إلى الإطار الكتابيّ الذي يرد فيه نصّنا ودراسة لبُنية هذا النصّ تجعلنا نَصل إلى الرغبة التي عَبّر عنها الرسول بقولِه: «أرجو أن تَفهموا فَهمًا تامًا» (٢كور ١: ١٣). ماذا عساه يُريد أن يقول لنا من خلال هذا النصّ؟

٢ كور ٢: ١٧؛ ٣: ١٨ في إطاره الكتابيّ

يدخل هذا النصّ في قسم أدبيّ يَمتدّ من ٢: ١٤ وينتهي في ٧: ٤. ففي الآية ٢: ١٣ يذكر بولس مسيرة سفره: «فودَّعتُهم وانصرفتُ إلى مكدونية»، بعد أن ذَكَر غياب تيطس. لا يستعيد بولس هذه المسيرة إلاّ في ٧: ٥: «فلمّا قدِمنا مكدونية»، مع ذكر لقائه بتيطس. ماذا يحتوي هذا القسم «الاعتراضي»؟

يَسبق هذا القسم ذكر للشدائد التي عاناها الرسول في آسية (١: ٨) وضيق الصدر والدموع حين كان يكتب إلى أهل كورنثوس (٢: ٤) وعدم اطمئنان

النفس حين لم يجد تيطس (٢: ١٣). مَهّدت هذه المُعاناة لهذا القسم «الاعتراضي». فَبَين عدم الراحة الداخليّة وبين الامتلاء بالعزاء والفرح في الشدائد (٧: ٤)، يُدافع بولس عن «رسوليّته» في نَصِّنا ويَستعرض نتائج خدمة العهد الجديد التي أُعطيَت لَه رحمَةً (٤: ١-١٥) والتي لا تعرف الخوف من الصعوبات (٤: ١٦؛ ٥: ١٠)، لأنّ كلّ شيء يأتي «من الله الذي صالحنا بالمسيح» والذي يُساعد الجميع في هذا اليوم، يوم الخلاص (٥: ١١؛ ٦: ٢). إذ يَضَعُ هذه المُصالحة في الإطار العمليّ، يُقدّم بولس نَفسه مثالاً للكورنثيّين (٦: ٣-١٣)، داعيًا إيّاهُم لتحقيق هويّتهم: «هيكل الله الحي» (٦: ١٤؛ ٧: ١).

أمّا بشأن حدود نَصِّنا، فنرى أنّ هناك شُكرًا يسبقه مُباشرة (٢: ١٤-١٦). يرتبط هذا الشكر بالبركة الواردة في مطلع الرسالة (١: ٣-٤). فالله الذي يُعزّي في الشدائد هو نَفسه يقود في موكب النصر. كلّ الصعوبات التي ترد قبل هذا الشكر تشرح معنى وروده. مِن جهة أخرى، يَلعب هذا الشكر دورًا تَمهيديًّا إذ ينتهي بالسؤال: «فَمَن تُراه أهلاً لهذا العمل؟» سوف يُساهم نَصُّنا في الإجابة على هذا السؤال.

أمّا من جهة خاتمة نَصِّنا، فَتظهر الآية ٤: ١ كخاتمة من خلال عبارة: «لذلك لا تَفتُر همّتُنا»؛ لكنّ التكرار الذي نجده في ٤: ١٦ يجعل من الآية ٤: ١ تَمهيدًا لما سيَتبعها.

بُنية ٢ كور ٢: ١٧؛ ٣: ١٨ الأدبيّة

السؤال الأساسيّ الذي يُجيب عليه نصُّنا هو: «فَمَن تُراه أهلاً لهذا العمل؟» (٢: ١٦ب). هذا الجواب يجعل من النصّ وحدة متكاملة. إذًا، يطرح نصُّنا مُباشرةً مسألة الأهليّة لِتتميم الخدمة الرسوليّة وطبيعة هذه الخدمة. تأتي هذه الإجابة على ثلاث مراحل. يعرض بولس أوّلاً «الثقة» التي لَه (٢: ١٧؛ ٣: ٤)؛ تتميّز هذه المرحلة بالعلاقة المتبادلة بين بولس والكورنثيّين. تُعالج المرحلة الثانية (٣: ٥-١٢) مُباشرة السؤال، إذ تستعيد أدبيًّا تعابير لها جذر «الأهليّة» كما في ٢: ١٦ب. أخيرًا، تؤمّن الآية الانتقاليّة (٣: ١٣) التحوّل من المقارنة بين وضع موسى ووضع بولس («نحن» في آ ١٣) إلى التوازي بين حالة شعب العهد القديم وحالة الجماعة المسيحيّة («نحن جميعًا» في آ ١٨) (٣: ١٤-١٨).

أ- ٢: ١٧؛ ٣: ٤: الثقة

بعد أن دحضَ بولس ادّعاءات الذين يتّهمونَه بأنّه يمزج بين «نَعَم» و«لا» (١: ١٧-١٩)، اختصر بولس هذا الدحض في الآية التي تَفتتح نصَّنا: «لسنا مثل الكثرة التي تُتاجر بكلمة الله، بل بالصدق ومن قِبل الله وفي حَضرة اللهِ في المسيح نتكلّم» (٢: ١٧)؛ مَهَّدَت هذه الخلاصة لموضوع العلاقات المتبادلة بين بولس (نحنُ) والكورنثيّين (أنتُم).

تظهر الآية ٣: ٤ كآية استنتاجيّة تُشير إلى «تلك الثقة» التي عبّرت عنها الآيات السابقة. وَبين «مِن قِبل الله وفي حضرة اللهِ في المسيح» (٢: ١٧)، وبَين «بالمسيح عند الله» (٣: ٤)، يَعرض بولس الثقة التي لَه من خلال الكورنثيّين الذين هُم رسالة المسيح الموكلة إلى خدمته والمكتوبة «بروح الله الحي» (٣: ٣).

تَستعمل الآية ٣: ١ صورة «رسائل التوصية» لتُعلن مضمون الآيتَين التاليتَين اللتَين تعرضان أساس العلاقات التي تربط بولس بجماعة كورنثوس. ليس بولس بحاجة إلى مثل تلك الرسائل لا «إليكُم» ولا «منكُم». «إليكُم» تُمهِّد للآية ٢: لا حاجة لبولس لتلك الرسالة إلى أهل كورنثوس لأنّهم هُم أنفسهم هذه الرسالة. تُمهِّد «منكُم» للآية ٣: أيضًا لا حاجة لبولس لرسالة توصية من الكورنثيّين، فَهُم رسالةُ المسيح التي عُهد بها إلى خدمة بولس. هكذا تُفهَم ثقة بولس (آ ٤).

مِن جهة أُخرى، هُناك نصوص واضحة من العهد القديم في خلفيّة الآيتَين ٢ و٣. فالكتابة على القلوب تأتي من نبوءة إرميا عن العهد الجديد (إر ٣١: ٣١-٣٤)، عهد سيناء مِن سفر الخروج (٣١: ١٨)، القلوب اللحميّة مِن النبي حزقيال (١١: ١٩). لكن ما تتميّز به هاتان الآيتان هو وسيلة الكتابة: «بروح الله الحي». مِن هُنا نَفهم كيف تكون ثقة بولس «بواسطة المسيح عند الله».

ب- ٣: ٥-١٣: الرجاء

بعد عَرضه للثقة، يُجيب بولس مباشرة على السؤال الأساسيّ. تورد الآيتان ٥ و٦ ثلاث كلمات مُشتقّة من جذر كلمة «الأهليّة» الواردة في السؤال. مِن جهة أُخرى، تظهر الآية ١٢، كما الآية ٤، كآية استنتاجيّة بسبب «إذًا» ولأنّها تُشير إلى «ذاك الرجاء» الذي عبّرت عنه الآيات السابقة. هكذا نَجد بَين الآيتَين ٥ و١٢ مَضمون الرجاء الذي على أساسه يتصرّف بولس برباطة جأشٍ عظيمة. «مِن الله» (آ ٥) ترتبط من جهة بـ «مِن الله» (٢: ١٧) وبـ «عند الله»

(٣: ٤) حتّى تُعلن أنّ الله هو «الذي مَكّنَنَا (أَهَّلَنا) أنْ نكون خَدَم عهد جديد». هذا العهد الجديد الذي أُعلن عنه في الآية ٢ من خلال الإشارة إلى نبوءة إرميا يتميَّز في الآية ٦ب بالتناقض بين الحرف والروح: «الحرف يُميت والروح يُحيي». بَعد ذلك حاول بولس في الآيات ٧–١١ توضيح مضمون هذا الإعلان. هدف هذه الآيات ليس إبراز التناقُض بين العهدَين بَل وَضع المَجد الزائل في مواجهة مع المجد الباقي. لهذا الغَرَض، بُنيَت هذه الآيات على شكل ثلاث مُقارنات يتفوّق فيها القسم الثانية من المقارنة: «إذا كان... فكم بالأحرى...» (آ ٧–٨؛ آ ٩–١٠؛ آ ١١). والآية الأخيرة (آ ١١) تُركّز على الطابع المُستمرّ للعهد الجديد الذي يولّد المجد والحياة. ورباطة الجأش العظيمة التي يتحلّى بها خادم العهد الجديد تأتي كنتيجة لعمل الله الذي يُعطي القُدرة على تتميم هذه الخدمة.

أمّا الآية ١٣ فهي آية انتقاليّة كما ذكرنا سابقًا ولكنّها ترتبط بما قبلها من خلال واو العطف ومن خلال محتواها الذي يوضح مضمون الآية ١٢.

ج– ٣: ١٤–١٨: أيقونة مجد الربّ

باعتبارها آية انتقاليّة تُمهّد الآية ١٣ للقسم الأخير من نصّنا. فالآية ١٤ التي تبدأ بـ «لكن» تربطها بما يسبق؛ والكلام في الآية نفسها على «القناع نفسه» يَفترض الكلام السابق على هذا القناع في الآية ١٣. فَهذا القناع باقٍ «إلى اليوم» على الذين يرفضون المسيح لأنّه بالمسيح يُزالُ القناع. تَستَعيد الآية ١٥ مضمون الآية ١٤ مُركّزَةً على بَقاء هذا القناع على قلوب شعب العهد القديم.

وَبما أنّ القناع الذي على القلوب هو نَفسه القناع الذي كان يَضعه موسى، تَعود الآية ١٦ إلى رواية سفر الخروج (٣٤: ٣٤–٣٥) لتُعلِنَ أنّه بالعودةَ إلى الله (الربّ) يُرفَعُ القناع. فالفِعل «يُرفَع» هو «مجهول إلهي» في زمن الحاضر؛ هذا يَعني أنّه، وإن كان يُشير إلى ما جرى مع موسى، فهو يَخصّ الحاضر. هذا هو هدف الآية ١٧: تأوين هذا «المجهول الإلهي» من خلال الإعلان أنّ ما عمله «الرب» في العهد القديم يعمله اليوم «الروح» الذي يَفتتح عهدًا جديدًا ويمنح بالتالي الحرّيّة كعلامة لحضوره. هذه الحرّيّة الممنوحة للجماعة المسيحيّة تُعلن صراحة «الوجوه المكشوفة» التي يتحلّى بها أعضاؤها. خُلاصة القول، كلّ مسيحيّ يختبر بشكل مُستمرٍّ ما اختبره موسى مَرّةً في الماضي. اللهُ هو في أساس هذا التحوّل الجوهريّ إلى الصورة، أي إلى المسيح الذي هو صورة الله. أمّا وسيلة التحوّل فواضحة في كلمة النصّ الأخيرة: «وهذا من فضل الربّ الذي هو الروح». أمّا أثر هذا التحوّل على المؤمِن فهو الازدياد «مِن مجدٍ إلى مَجد».

لاهوت ٢كور ٢: ١٧؛ ٣: ١٨

يعرض بولس لاهوته في هذا النصّ حول مفهوم «العهد الجديد» الذي لا يلغي «العهد القديم» بَل يجعله «داخليًّا». فَكما هي الحال في نبوءة إرميا (٣١: ٣١–٣٤)، يرتكز العهد الجديد على مضمون العهد القديم؛ والجديد يكمن في أنّ هذا العهد هو عهد الروح الذي هو في داخل المؤمِن؛ بالتالي يَخلق هذا الروح الداخليّ طريقة جديدة في علاقة المؤمن بكلمة الله، علاقة كيانيّة تنبع من داخله. يُركّز بولس على كلّ هذه الأبعاد من خلال العودة الضمنيّة إلى نبوءة إرميا، ومن خلال التناقض بين الحرف والروح: فالحرف يبقى في خارج الإنسان أمّا الروح فيسكن في الداخل. في أساس هذا العهد الجديد هُناك العمل الإلهيّ. ولأنّ هذا العهد هو عهد الروح، فَلا يُمكن إلاّ أن يكون على مثال هذا الروح، عطيّة من الله.

مِن جهة أُخرى، لاهوت هذا العهد الجديد وهذه العطيّة هو لاهوت «ثالوثي».

أوّلاً، كلّ «أهليّة» تأتي من الله، وبالتحديد أهليّة خدمة العهد الجديد. الله هو في أساس عطيّة الروح، لأنّ الروح هو «روح الله الحي». وبما أنّ روح الله الحيّ هو وسيلة الكتابة على قَلب الإنسان، سوف يكون هذا الروح في أساس العلاقة الجديدة بين الله والإنسان.

ثانيًا، حَقل عمل الروح هو الجماعة المسيحيّة؛ وبما أنّ هذه الجماعة هي رسالة المسيح، سوف يكون هذا الروح في أساس العلاقة الجديدة بين المسيح والإنسان.

أخيرًا، العهد الجديد، الذي هو عهد الروح، افتُتِحَ بالمسيح. فَمِن جهة، روح الله الحيّ هو في أساس حياة المؤمِن، ومن جهة أخرى، يُعلِن هذا الروح استمراريّة إله العهد القديم واستمراريّة عمله في الجماعة التي تنتمي إلى المسيح.

بهذا العمل الثالوثيّ تُصبح الجماعة المسيحيّة جماعةً مكشوفةَ الوجه، تَعكس بواسطة الروح، مَجد الله الذي تجلّى بالمسيح.